موارد غفلة وأخطاء العلماء والساسة طوال حكم العائلة البهلوية

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتكبت أخطاء مؤسفة للغاية طوال حكم هذه السلسلة، بعضها في عهد الملك رضا والأخرى في عهد هذا السيد .

الخطأ الأول وقع في بداية الانقلاب الذي نفذه الملك رضا بأمر الإنكليز. حيث أن الذين كانوا يعرفون بحقيقة الأمر وكانوا يستطيعون معرفة الحقائق، لم يُطلعوا الناس عليها. الملك رضا كان يقوم بنفس هذه الأعمال التي يقوم بها الآن ابنه. فقد أخذ في بداية حكمه بإقامة مجالس العزاء الحسيني وإخراج مواكب اللطم للعسكريين يوم عاشوراء. وهذه كنت شاهدتها بنفسي بمعنى أني أتذكرها. وكان يطوف بنفسه على تكايا مجالس العزاء في طهران كافة وفي الأماكن التي كانت تقام فيها مجالس عزاء طويلة. فقد ورد الميدان في البداية بهذا السلاح واللجوء للخداع وللقيام بهذه الممارسات المرائية التي يمارسها خلفه الآن بطريقة أخرى .

في تلك الأيام كان يوجد الذين يدركون حقيقة هذه الممارسات لكنهم غفلوا عن التحرك لتوعية الجماهير والشعب عليها ويكشفون صورة الملك رضا الحقيقية، وهذا أحد الأخطاء. فتابع هو سياسته فبعدما كان يقوم بتلك الممارسات المرائية كشف عن وجهه الحقيقي، فأغلق كافة تلك المراكز الدينية والتكايا ومنع مجالس الوعظ والإرشاد، فلم يسمح بعقد واحد منها في كل إيران، وقام بكل تلك الممارسات التي تعرفونها جميعا.

ومن الأخطاء الأخرى التي شهدها ذلك العهد، أن الشعب أو الذين كان عليهم أن يوعّوا الشعب لم يدعموا السيد المدرّس وهو الرجل العظيم الوحيد الذي عارض رضا خان وصمد في مواجهته في المجلس النيابي، كان البعض مؤيد للسيد المدرّس، ولكن البعض كان يعاديه بشدة. وفي ذلك الوقت أيضا استطاع البعض أن يدعموا السيد المدرّس. ولكن لو كان الآخرون قد دعموه أيضا لكان من المحتمل أن يقطع دابر شر هذه العائلة (البهلوية) في ذلك الوقت لأن السيد المدرّس كان يتحلى بالحجة القوية والمعلومات الواسعة والشجاعة وغير ذلك، ولكن هذا لم يحدث .

والأسوأ من ذلك، والذي يشعرني بالأسى حقا كلما فكرت فيه، هو ما جرى عندما هاجم الحلفاء إيران (واحتلوها) بعدما كان الملك رضا يطلق تلك الأقوال، وبعد تلك المدائح التي كانوا يغدقونها عليه أو يغدقها هو على نفسه، وادعاءاتهم بأن هذه الدولة بلغت المستوى الذي لا يقدر أحد معه

على التعرض لها! يطلق مثل تلك المدائح الآن ابنه، وهو حقا خلفه. ثم رأوا أن تلك الادعاءات جوفاء، حيث لم يتبع البيان العسكري الأول بيان ثان، وينقلون أنه (رضا خان) عندما عاتب الملك رضا أحد قواد الجيش عن سر قصر فترة مقاومة الجيش الإيراني وكونها لم تدم أكثر من ساعتين. أجابه: ساعتان! ما كان يجب أن تدوم خمس دقائق! فلم نكن نملك شيئا وكانوا يملكون كل شيء.

لقد قاموا بكل تلك الأفعال من أجل إلحاق الهزيمة بهذا البلد. فقد كانت للشعب طاقات وقوة في عهد الملك رضا، وهي وإن كانت مختلفة لكنها كانت داعمة للبلد، فأمر الأجانب هؤلاء (نظام رضا خان) بسلب الشعب هذه الطاقات والقوة. فكان (رضا خان) يسلب قوة كل ذي قوة بالقيود التي يقيده بها بالخارج وغيره. والأجانب كانوا يتحركون في هذا الإطار طبق خطة تستهدف نزع مراكز القوة في إيران من قوتها وأسلحتها لكي لا تستطيع القيام بشيء إذا فكرت يوما بإظهار قوتها. وعلى أية حال، فقد نفذ رضا خان تلك المهمة ونزع سلاح مراكز القوة في إيران ثم رحل هو أيضا. أي رحّلوه هو ومجوهرات البلد أيضا، حيث أخذوا منه حقائب المجوهرات التي جمعها، وقالوا له اذهب أنت! وهذا ما أنقله أنا عن شخص ينقله عن مسؤول حكومي رافق الملك رضا في سفره إلى جزيرة موريس.

فقد كان يتصور أنه سيبعدونه إلى هناك ليعيش في قصر ضخم مثلا، لذا حمل معه تلك الجواهر. وينقل راوي القصة أنه وقف على رأس الجسر الذي كان عليه أن يعبره، وبكى لكنه بكاء عقيم. نقلوه والحقائب المملوءة بالجواهر إلى السفينة، وفي وسط البحر ربطوا هذه السفينة بأخرى مخصصة لحمل الدواب. ثم أمروه أن ينتقل إلى السفينة الثانية، ورأى أن لا مناص له من الانتقال، فسأل عن الحقائب؟ فقالوا سيأتون بها. فذهب هو من جهة وذهبت الحقائب إلى الجهة الأخرى. فهل هي الآن لدى الإنكليز؟ الله العالم. وهذا أيضا (ابنه الملك محمد رضا) يقوم الآن بإرسال أمثالها!

أجل، لقد رحل الملك رضا، ولكن المؤسف والمؤسف حقا هو أن أبناء الشعب الذين شاهدوا ممارساته العدوانية، التي لم تعد خافية، فرحوا بهجوم قوات تلك الدول الثلاث على إيران عندما أعلن الملك رضا عن انتصارها. فرغم أنها كانت دولا معادية لكنهم فرحوا، وكنت شاهدا لهذه القضية بنفسي، وبدَوا وكأنهم فرحون بمجيئها لأنها وإن كانت معادية لكنها لن تفعل أسوأ مما كان يفعله ملكهم!. وهذا هو حال السلطان أو الحاكم المتنفذ الفاقد لدعم الشعب. فالشعب يفرح إذا نفوه أو أخرجوه بدلا من أن يحزن أو يقوم بثورة، فلماذا يقوم بذلك؟ إن الخير في رحيله حقا، وهذا هو الواقع. ولكن الذي يبعث على الأسف هو عدم انطلاق صوت واحد يعلن رفض تنصيب ابن

الملك رضا عندما جاءت قوات الحلفاء ورحيل الأب! ولو كان قد ارتفع هذا الصوت لما كانوا قد نصّبوه ملكا، ولكن الذي حصل هو أنهم نصّبوه كما اعترف هو بنفسه فيما كتبه، وقد سمعت أنهم حذفوا فيما بعد عبارة الاعتراف وهي قوله:... إن الحلفاء رأوا من الصالح تنصيبي. لو تصدى يومئذ أحد الأشخاص من الوجهاء أو من العلماء أو مجموعة من أبناء الشعب وصرخوا قائلين: نحن لا نريد العائلة (البهلوي) فقد ارتكبوا بحقنا الكثير، فماذا فعل الأب لكي نتوقع أن يفعل ابنه خيرا؟ لكنهم غفلوا عن القيام بذلك، وهذه إحدى الأخطاء في التاريخ الإيراني. ولو لم يغفلوا عن القيام بذلك لتغير مسار التاريخ الإيراني، ولما كنا نحن مبتلين الآن والتحدث عن هذه الأمور، ولما كنت أنا ولا أنتم هنا، بل لكان الجميع يقومون بمهامهم في بلدهم.

هذه هي الغفلة الكبرى التي وقع فيها الساسة وعلماء الدين وسائر فئات الشعب. وقد أدت إلى فرض (الحلفاء) هذا الشخص حاكما علينا ودعموه بقوة. وقد وقعوا في العديد من حالات الغفلة هذه منذ ذاك اليوم وإلى اليوم، حيث أن قوام السلطنة كان يستطيع القيام بذلك لكنه لم يفعل بسبب الغفلة وضعف النفس.

وأهم منه الدكتور مصدّق، فقد وصلت إليه السلطة وأراد أن يخدم وطنه، ولكن كانت لديه أخطاء أيضا، أحدها أنه عندما امتلك القدرة لم يخنق هذا (الملك محمد رضا) وينهي الفتنة. وكان هذا الأمر يسيرا عليه حينئذ لأن الجيش وكافة القوى كانت تحت سيطرته في حين لم تكن لهذا (الملك) يومئذ أية قيمة، فقد كان ضعيفا، ولكن يكن قد استقوى بعد، بل كان قبضة الدكتور مصدّق؟ ولكنه غفل عن ذلك وأخطأ. والخطأ الآخر الذي غفل وارتكبه هو أنه حل المجلس (النيابي) وأجبر النواب فردا فردا على تقديم الاستقالة، وعندما استقالوا وجد الملك مخرجا دستوريا، وهو أن من حق الملك تعيين رئيس الوزراء في حالة عدم وجود المجلس النيابي، فقام الملك بتعيين رئيس الوزراء. وهذا الخطأ الذي وقع فيه الدكتور. وقد أدى إلى إعادتهم هذا الرجل إلى إيران ثانية. فكان أن "ذهب الملك محمد رضا وعاد الملك رضا" كما قال البعض للدكتور بشأن نتيجة عمله. أي أن الذي ذهب هو الملك محمد رضا الضعيف الذي كان في قبضته وعاد الملك رضا، أي عاد الملك قويا متجبرا. والذين قالوا ذلك حينئذ لم يدروا أن العائد يزيد بأضعاف عما كان عليه أبوه الملك رضا من تحبر!! هذا أيضا من الأخطاء التي ارتكبت.

والمرحلة الآن حساسة، وأنا أخشى من وقوع الأخطاء فيها، ونحن الآن مكلفون بواجب. وقد رأينا أخطاء الماضي وأنا أخشى من أن تقع فئات الشعب من شخصياتنا العلمية والسياسية والثقافية في خطأ ما، وحينئذ سنبقى في المحنة إلى النهاية. ولن يبقى أمل بتجدد ثورة أخرى.

إنكم جميعا وكذلك كل من قرأ التاريخ، تعلمون بعدم وجود نظير لهذه النهضة القائمة على مدى التاريخ الإيراني، إذا لم نقل على مدى التاريخ العالمي عموما. حيث تجد فيها الصغير ابن سبع سنين والشيخ الذي بلغ السبعين عاما يرددون معا بصوت واحد: نحن لا نريد الملك. فهي نهضة تتحدى الحراب والمدافع والدبابات والعساكر الذين يجولون في الشوارع ويسحقون الشعب ويقتلون أبناءه، ورغم ذلك يقف صامدا رافعا قبضاته الراسخة وهو يهتف: لا نريد هذا (الملك)!! لا شك بأن هذه النهضة لا نظير لها في التاريخ الإيراني،ولا أدري إن كان يوجد مثيلا لها في التاريخ العالمي،ولكن لا نظير في السابق لهذا التحول الذي شهدته إيران، وأنا متيقن من ذلك. وعلى كل عاقل أن يدرك أن هذه النهضة لا يمكن أن تتجدد إذا ما أخمدت. فليس لها مفتاح مثل زر المصباح الكهربائي يمكن به للإنسان أن يطفئ المصباح ثم يوقده متى ما شاء. كلا، فهذه النهضة التي لم يشهد التاريخ مثيلا لها أوجدتها سلسلة من الجهود المضنية ويد الله (تبارك وتعالى..(

وعلى الرغم من قيام الحكومة العسكرية حاليا، وحيث أن المدن الإيرانية محتلة بصورة عملية من قبل العسكريين والجيش. إلا أن الأصوات ترتفع في كل مكان والتظاهرات تخرج في كافة المناطق ولا زال شعار "الموت للملك" مدويا، ومثل هذه الحالة لم تظهر في السابق أبدا ولا أمل بتكرارها في المستقبل أيضا. وما أخشاه هو أن لا تحقق هذه النهضة ثمارها وتخمد بسبب أخطائنا نحن وأنتم وسائر فئات الشعب، وحينئذ سيبقى بلدنا، وإلى الأبد، في الأسر تسحقه أقدام الأجانب .

إنهم الآن يتشبثون بكل وسيلة، سواء أولئك الذين يتواجدون في المجلس تحت عنوان "النواب" أو الذين في خارجه من أنصار الملك، فهم جميعا يتشبثون الآن بأي شيء من أجل الإبقاء عليه. كتلك المناورات التي شاهدتم إجراءها في المجلس النيابي مؤخرا. حيث أصبح هذا معارضا وذاك مؤيداً! كلا، فالمعارضون والمؤيدون يتفقون على نقطة واحدة، وهي بقاء الملك .

فما معنى الشعار الذي يرفعونه حاليا، أي شعار "الانتخابات الحرة"، إنه يعني أن يأمر "صاحب الجلالة" الشعب بالانتخاب، ويبقى النظام الملكي في موقعه الرسمي. ويكون أمر الانتخابات بيد الملك، لكنها انتخابات حرة! هذا معنى الانتخابات الحرة: أن يكون الحكم ديمقراطيا والملك يبقى ملكا دون أن يتدخل في شؤون الحكومة.

كل هذه الأقوال تطرح في داخل المجلس (النيابي) وخارجه وكل مكان. فهم يأملون بكل وجودهم أن يقتنع الشعب بمقولة أن يبقى الملك ملكا دون أن يتدخل في شؤون الحكومة. وهم يسعَون لذلك منذ شهرين أو ثلاثة وقد يستمرون في مساعيهم سنة أخرى، ولكن ماذا يكون حال المستقبل؟ لنفرض أنه سيلتزم بذلك ويبقى ملكا لا يتدخل في شؤون الحكومة، ثم يتحول إلى إنسان صالح بالكامل وهذا فرض باطل ومع ذلك لنقل بذلك فرضا. ولكن ماذا عن كل هذه الجرائم التي ارتكبها؟ فهل يُترك شخص ارتكب جريمة قتل لمجرد أنه جاء واعتذر؟! وهل يعفو القانون عنه؟ فمن يقتنع بذلك؟ لقد تسلط هذا الشخص على مقدّرات بلدنا 25 سنة وأكثر وارتكب طوالها أشكال الخيانة بحق الوطن، وسلم ثرواته جميعا للأجانب، وسلّطهم عليهم، وضيّع نفطنا وغازنا الطبيعي، ولا زال يقوم بذلك. وقتل كل هذه الأعداد الكبيرة من الناس، وارتكب كل هذه المجازر العامة في واقعة 15 خرداد، وأشد منها ما ارتكبه في الآونة الأخيرة. ثم يقول الآن: لقد وقعنا في بعض "الأخطاء" غير المقصودة و"نتعهد" بعدم تكرارها! لنفرض أنك تعهدت بذلك (حقا) ولنفرض عدم تكرار الأخطاء مستقبلا. ولكن ماذا عن الأخطاء السابقة؟ لقد ألقيت شخصياتنا السياسية أو العلمائية في السجن عشر سنين أو خمسة عشر عاما، أكثر أو أقل، وصببت عليهم أنواع العذاب والأذى، وقد خرجوا الآن بحالة صحية متدهورة. فهل ينتهي الأمر بمجرد إطلاقك سراحهم؟ لقد ضيعت عشرة أعوام من أعمار الآلاف في هذه السجون ثم لا مقابل! وعلينا أن نسمح لك بأن تبقى ملكا في الصدارة وفي "المقام السامي"، ويأتي الجميع ليسلموا عليك في يوم تقديم التحية، وتبقى في قصرك العالي منشغلا بالترف والفساد، ولا حاجة لأن تتدخل في شؤون الحكومة!! هذا هو المطلوب؟! إن هذا القول يفتقد لأدنى مراتب الإنصاف، فهل يمكن لأي مسلم أو أي إنسان ذي ضمير حي أن يدعو لذلك ويقول: لا بأس أن يبقى مجرم تسلط على هذه الحكومة، غير الدستورية الباطلة، أكثر من عشرين عاما، ضيّع خلالها ثروات الشعب، وارتكاب المجازر العامة ضده، وسلّط الأجانب على وطنه، فيترك الآن لمجرّد أنه قال: لقد أخطأت فاعفوا عني. لقد وقعت بعض الأخطاء، إن هذا القول بحدّه إقرار واعتراف بالجرائم يدان بسببه في المحاكم.

لنفرض أنك أصبحت الآن مسلما عابدا، ولكن ماذا عن هذه الجرائم التي ارتكبتها إلى الآن؟ هل يغلق ملفها طبق قوانين أي محكمة في العالم ومحكمة العدل الإلهي وأحكام الإسلام أو طبق قوانين المحاكم العرفية؟ وهل تنتهي القضية باعتذاركم لأنك ملك فنتركك ونذهب ويذهب كل فرد لعمله؟

إن من الخيانة للإسلام ولهذا الشعب المظلوم التحدث عن المساومة مع الملك، أو القول بأن نتركه يظل ملكا غير حاكم، أو أن يذهب هو وتأتي السيدة "فرح" وتصبح ملكة علينا، ثم تجرى الانتخابات الحرة ويتم إصلاح كل شيء.

وماذا عن تلك الأم التي كانت إلى الأمس تجلس مع أبنائها الخمسة على مائدة الطعام، فإذا بها تجد الآن وحدها مع زوجها الشيخ الكبير حيث قتل شبابها؟ هل يكفي (لإرضائها) مجرد أن يعتذر الملك "القاتل"؟ أيستطيع الإنسان المسلم أن يتفوه بمثل هذا القول؟ ما هو الجواب الذي نقدمه للتي فقدت ابنها الشاب عندما تنظر إلى زملائه الذين كان يذهب معهم بالأمس إلى المدرسة فلا تراه اليوم بينهم؟ وماذا يقول الشعب؟ أنقول لقد صالحنا "صاحب الجلالة" فلا محل لدماء أبنائكم غير تحت الأقدام؟ أليست هذه هي الخيانة؟ كيف يمكن أن يخطر على ذهن الإنسان مثل هذا؟ وأية غفلة شيطانية ووساوس شيطانية هذه التي تخطر على ذهن الإنسان فيقول: حسنا لنعفو الآن "فقد أصاب الأذى الجميع وقد عفونا نحن فاعفوا أنتم أيضا". فعن أي شيء نعفو؟ وهل هو حق متعلق بي لأعفو؟ إن هذا هو حق الشعب، وحق الإسلام وحق الله، فهل يستطيع أحد أن يعفو عنه، وهذا ما لا يمكن العفو بشأنه؟

إنني أخشى من وقوع مثل هذا الخطأ والانحراف! لذا يجب على الجميع أن يتعاونوا للحيلولة دون وقوعه! عليكم أنتم الشباب الذين تعلنون صرختكم هنا، وعلى أولئك، الذين يجاهرون بصرخاتهم في إيران الآن أن لا يسمحوا، في هذه المرحلة الحساسة، حيث وصلت النهضة إلى الخندق الأخير، بانتصار هذا الشخص (الملك) حيث يتشبثون الآن بكل الأطراف. فهذا خطر كبير يتهدد إيران إذا وهنوا ووقع ذاك الانحراف أو خافوا من الضجيج الذي أثاره "كارتر" حيث قال: إن مصالحنا تستلزم بقاءه (الملك) وهو ثمرة "سياستنا"، أو بعبارة أخرى خادمنا فلا نسمح بسقوطه، بل يجب أن يبقى. لم يستخدم هذا التعبير وهذه الأوصاف لكن هذا هو محتوى ومضمون ما قال. فمن أين يمكن أن نحصل على مثل هذا الخادم؟ لا تخشوا هذا الضجيج أبدا.

لا يمكن فرض شيء على الشعب إلى النهاية، وقد رأينا أنهم عجزوا عن تحقيق ذلك بالعسكر، وهو (الملك) كان راغبا للغاية في أن يرتكب العسكريون المجازر الواسعة ويقتلون مليونين أو ثلاثة. ولكن لا يمكن تحقيق ما يريدون بذلك. وهذا ما لا يستطيع أسيادهم أيضا تحقيقه. فهل تتصورون أن جيوش الروس والأمريكان والإنكليز ستأتي من هذه الجهة وتلك إذا فشل هؤلاء؟ كلا فهذه أشعار لا أكثر، فالشعب إذا لم يرد فلا يمكن تحقيق ذلك والشعب الآن يعلن الرفض برمته. فالقضية اليوم لا

ترتبط بموقف حزب واحد أو جبهة معينة أو تجمع. بل الذي يعلن الرفض هو الشعب بأكمله حيث يصرخ:.. لا... ولذلك فلا تستطيع مواجهة كلمته هذه لا الحراب ولا الدبابات ولا المدافع ولا تهديدات "كارتر" أو الكريملين الجوفاء. لا تجدي شيئا كل هذه. فليكتبوا كل ما يريدون في صحفهم أو فليرفعوا به عقيرتهم.

أرجو أن ينصر الله الإيرانيين الذين التفوا من أجل حقهم (الحاضرون: آمين)، ويؤيد هؤلاء الشجعان الذين ثاروا يريدون استحصال حقوقهم (الحاضرون: آمين). وعلينا جميعا أن ندعمهم بمقدار ما نستطيع حيثما كنا (الحاضرون: إن شاء الله). علينا جميعا القيام بما نقدر عليه لنصرتهم، وهو أن نوصل صوتهم للآخرين، حيث يوجد الآلاف من الإيرانيين خارج البلد ويستطيعون إيصال قضيتهم إلى أضعاف عددهم من الأجانب، ويحبطوا هذه الدعايات التي تروج في الخارج وتصور الشعب الإيراني بأنه مثير للشغب وأنه لا يصلح لأن تمنح له الحرية! وأمثال هذه الادعاءات الجوفاء التي يطلقها الملك وأبواقه، وعليكم أنتم أن تدحضوها. فأبناء هذا الشعب قد وقفوا وهم يجاهرون بالقول: نحن نريد حقوقنا، أن نكون أحرارا وليس تحت سلطة المستشارين الأمريكان. هذا هو النضوج الذي بلغته جماهيرنا حيث تطورت ولم تعد تقتنع بمثل تلك القضايا، ولن تقتنع إن شاء الله. حفظكم الله جميعا ووفقكم.

هوية الخطاب رقم . 58

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 6 ذي الحجة 1398 هـ، الموافق 7 نوفمبر 1978م.

الموضوع: موارد غفلة وأخطاء العلماء والساسة طوال حكم العائلة البهلوية.

المناسبة: مجيء حكومة الجنرال أزهاري العسكرية وعرض أنصار النظام للحلول التساومية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس .